مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 04 العدد 06 (20) 2024/11/15
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

ثنائية العبث والتمرد في رواية "الطاعون" للكاتب البير كامو

أحمد عبد عباس الجبوري*

كلية الاداب –جامعة بابل

ahmedabd1967@yahoo.com
art.ahmed.abd@uobabylon.edu.iq

تاريخ الارسال : 2024/10/01 تاريخ القبول: 2024/11/03

الملخص:

يهدف البحث الى ابراز دور الفلسفة والرواية في رصد واقع المجتمع الانساني في ظل هيمنة الايدلوجيات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية المختلفة في اوربا خلال القرن العشرين الذي شهد ظهور نخبة من الفلاسفة والادباء الكبار البارزين الذين اولوا عناية فائقة بالمجتمع الانساني في اثارهم الفلسفية والادبية المختلفة. يسعى بحثنا الموسوم" ثنائية العبث والتمرد في رواية "الطاعون" للكاتب البير كامو" للكشف عن مدى تاثير الافكار الفلسفية للكاتب في رواية "الطاعون" ويسعى ايضا للبحث عن اجابة اسئلة عدة منها: لماذا اختار البرت كامو الرواية لعرض افكاره الفلسفية ؟ ماهي المفاهيم التي طرحتها الفلسفةالغربية المعاصرة المتعلقة بالوجود الإنساني؟ لماذا وصف كامو القرن العشرين بعصر الخوف ؟ ما هي مرجعياته وافكاره الفلسفية ؟ وتوصل البحث الى عدد من النتائج منها وجود رؤية فلسفية في المنجز الادبي لكامو الذي استطاع ان يجمع بين الفلسفة والادب وان يحول وباء الطاعون من مرض يصيب جسد الانسان الفرد الى جائحة تصيب الانسانية وتلتهم جميع قيمها الضرورية للحياة.

الكلمات المفتاحية: الطاعون, العبث ,التمرد ,الوجود ,التظامن الانساني

مقدمة:

منذ القدم لجأ الانسان الى التفلسف من اجل ايجاد اجوبة عن اسئلة مهمة حول وجوده في الحياة و ما يعترضه من صعوبات خارجة عن ارادته وتصوراته في نصوص مختلفة. من هنا ظهرعدد من الكتاب الذين اظهروا فلسفاتهم في اعمالهم الادبية والتي جعلوا منها منبرا ومختبرا لتوضيحها. وضمن هذاالاطار تأتي

* المؤلف المرسل: أ. أحمد عبد عباس الجبوري .الايميل:ahmedabd1967@yahoo.com
art.ahmed.abd@uobabylon.edu.iq

الاهمية الكبيرة التي يحظى بها النتاج الروائي والمسرحي للكاتب الفرنسي البير كامو الذي جعل من الادب والفلسفة يسيران جنبا الى جنب في محاولة لتفسير الواقع المجتمعي المعاش انذاك. وعلى اساس هذه النظرة انبثقت فكرة بحثنا الموسوم ((ثنائية العبث والتمرد في رواية"الطاعون" للكاتب البير كامو) الذي سيتضمن مستوين احدهما نظري والاخر اجرائي في عينة البحث.

يسعى هذا البحث عبر محاوره الثلاثة للكشف عن مدى تاثير الافكار الفلسفية للكاتب في اعماله الادبية المختلفة وخاصة رواية "الطاعون" وللبحث عن اجابة اسئلة عدة منها: لماذا اختار البيركامو الرواية لعرض افكاره الفلسفية ؟لماذا وصف كامو القرن العشرين بعصرالخوف ؟ ماهي مرجعياته الفلسفية؟ لماذا ماتزال اثاره المختلفة تشكل مصدرا للبحث والتنقيب على الرغم من مضي اكثرمن ثلاثة وستون عاما على وفاته ؟

فلسفة كامو

منذ وفاته في الرابع من كانون الثاني 1960 ماتزال اعمال البير كامو الفلسفية والادبية تشكل مصدرا للبحث والتنقيب في عالم الادب والفلسفة والسياسة بفضل قدرته على الاستشراف المستقبلي لمشاكل الفرد في ظل غياب القيم الانسانية النبيلة. وقداثارت هذه القيم اهتمام كامو في مشروعه الفكري لتحرير الانسان من اسباب قلقه وخوفه لذلك نجده يؤكد في مذكراته انه لا يريد تغيير البشرية بقدرما يريد خدمة القيم الانسانية النبيلة التي لايمكن للانسان العيش بدونها في اي مكان من العالم.

ومن اجل هذا حاول عدد من الفلاسفة طرح مفاهيم جديدة متعلقة بالوجودالإنساني.ولعل من أهم الفلاسفةالذين اهتموا بطرح المشكلات الأخلاقية وامتداداتها الإنسانية،الفلاسفة الوجوديون الذين جاؤا بافكارهم وقت ذاك نتيجة للظروف التي عاشتها أوربا منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وفي خضم هذه الظروف والاحداث نجد البير كامو يحاول تاسيس فلسفة جديدة تبحث عن حلول لمشاكل الانسان المعاصرة التي واجهها في النصف الاول من القرن العشرين بعد تأثره بعدد من الفلاسفة من مختلف الجنسيات مثل كيريكارد الدانماركي والفلاسفة الالمان مثل هيجل ونيتشه وكارل جاسبر وتاثره ايضا بعدد من بالروائين مثل الجيكوسلوفاكي فرانزكافكا والروسي دوستفسكي الذين عبروا عن قلقهم حول مصير الانسان

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

الذي يعيش وسط عالم غيرمعقول عاجز عن ايجاد الحلول المناسبة لمشكلاته. من هنا فان منجزه الادبي يزداداهمية كلما تقدم عليه الوقت لانه يرتبط بحياة الانسان في كل زمان ومكان وبفضل فلسفته المعتدلة عبرمحوري العبث والتمرد. (AntoineAdam & Georges,1972, p.273)

1-العبث:

عدمية المعنى ضد Absurd تعني مفردة العبث العقل والمنطق كماء جاء في قاموس الاكاديمية الفرنسية :

"Qui est évidemment contre la raison, et contre le sens (L'Académie, 1978, p. 23)

وجاء مفهوم العبث في المعجم الفلسفي فهو كل ما يتعارض مع قوانين المنطق اذان العبث هو((ارتكاب أمر غير معلوم الفائدة، وقيل ما ليس فيه غرض صحيح لفاعله)). (صليبا، 2004، صفحة 280) امالانسان العبثي فهو "الانسان الذي يتصرف بدون فائدة ويقول اشياء غير معقولة"حسب قاموس الاكاديمية الفرنسية :

"Un homme absurde, est un homme qui dit habituellement des absurdités" (L'Académie, 1978, p. 23)

بدأ الفرنسيون في استخدام كلمة (العبث) منذ الربع الاول من القرن العشرين مع ظهور بعض الفلسفات التي لم تعتد بالتراث والقيم الحضارية لذلك شعر كامو بالقلق من نتائج هذه الحداثة. (Weymberghm, 1998, p. 200)

اذن العبث هو اي فعل يقوم به الفرد لا يترتب عليه نتيجة او منفعة لفاعله. وهذا مانجده في كتاب "اسطورة سيزيف" الصادر عام 1942حيث قدم لنا كامو شخصية "سيزيف" بعد ان حكمت عليه الالهة بالعذاب مدى حياته برفع الحجر الى اعلى قمة الجبل وكلما يتدحرج الحجر من قمة الجبل الى الاسفل يلاحق سيزيف من دون جدوى الحجر لرفعه وابقائه في القمة.الا ان جهوده الشاقة لم تثمرعن شيء رغم محاولاته المتكررة .

ولكن كامو يقدم لنا صورة لشخصية راضية وغير ساخطة على قدرها الكائن بل مستعدة لاعادة المحاولات الفاشلة الى الابد من اجل رفع الحجرالى قمة الجبل برغم الجهد الشاق الذي يبذله سيزيف. فكتاب "أسطورة سيزيف" يكشف لنا فلسفة كامو عن الحياة والوجود الانساني في عالم عبثي غير معقول.اما شخصية سيزيف فقد تحولت الى رمز لنضال الانسان الفرد ضد عبثية الحياةاللامنطقية واللامعقولة في وجودعديم المعنى. فالعبث عند كامو هو شعور الانسان بانه امام عالم غريب عديم المعنى ,عالم مليء بالحروب والشقاء والموت لدرجة تجعل الانسان يشعر بالنفي في عالم غريب منفصل عن الواقع .

في رواية"الغريب"ميرسو يرتكب جريمةقتل يعاقبه عليها المجتمع لا بسبب فعله الاجرامي العبثي بقدر ما كان رفضه التحدث بامور واشياء لم يؤمن بها. فميرسو يرفض ان يخدع نفسه وهو هنا يجسد الانسان المثالي العبثي بالنسبة لكامو الذي جعله نمط من الانسان الالي العبثي الذي يرغب العيش في مجتمع غير نمطي.ونجد ميرسو لايبدي اي مشاعر انسانية متعارف عليها في اوقات النكبات والازمات وخاصة الموت فهو لم يظهر اي شعور انساني ازاء موت والدته وصديقته ومعارفه والشخص الذي قتله بل بقي غير مكترث لتلك الاوضاع ورفض ان يتظاهر بمشاعرلايحس بها او يخفيها على الاقل تحت مظهر كاذب. ومن ثم يدرك الموت الذي ينتظره من خلال الحكم عليه بالاعدام هو فقط من يربطه بالناس الاخرين وعليه يرفض ميرسو الاعتقاد بالغرض المقدس بناء على دعوة القس للتوبة مثلما يرفض الطبيب ريو اعتقادات القس بانيلو في رواية" الطاعون" (محمد، 1986، صفحة230).

لذلك نلاحظ ان شخصيات كامو تعكس لنا غالبا عبثية عالمها اللامعقول ورغبتها في الهروب منه لكنها تجد نفسها مترددة بين الموت اوالاستمرار في حياة خالية من المعنى.وفي ظل هذه الاوضاع القاتمة تنبثق ضرورة ملحة لفكرةالتمردعند الشخصيات الرئيسية من اجل مواجهة العبث المعاش.

2-التمرد

يبدو لنا ان كامو الذي كان يتخذ من الادب وسيلة لنشر ارائه الفلسفية والسياسية اكتشف ان الاهداف التي رسمها للقارئ في كتابه " أسطورة سيزيف" لم تعد تتماشى وما يشهده العالم من مستجدات فكرية

وسياسية وعسكرية على ارض الواقع.وفي محاولة لايجاد حلول لعبثية العالم ولعبثية الشر الذي وسم النصف الاول من القرن العشرين جاء مؤلفه الجديدالموسوم ب "الانسان المتمرد "في عام 1951 ليعبر عن ارائه حول فلسفة الحرية النسبية واهمية رفض العنف الثوري بعد ان اصيب كامو بحالة من الذهول والاستغراب بسبب القمع والاحداث الدامية التي شهدها الاتحاد السوفيتي السابق الذي لم يكن "دولة شيوعيين متحدين يعيشون بحرية، بل دولة بلا حرية على الاطلاق" (عودة، 2017).

وبسبب هذه الافكار تعرض كتاب "الانسان المتمرد"الى موجة من الانتقادات التي تكمن وراءها اسباب ثقافية ودينية وسياسية وفلسفية مختلفة:

فقدانتقده ا الشيوعيين بسبب رفضه للعنف الثوري والحرية المطلقة غير المنظبطة وانتقده المسيحيين لانكاره وجود الاله والحياة الأخرى.

وبسبب "الانسان المتمرد" ازداد ايضا التعارض الايديولوجي بين كامو وسارتر حيث"اعلم سارتر زميله ورفيقه كامو أن الصداقة التي جمعتهما يوما ما لايمكن ان تدوم لانها لم تعد سليمة كما كانت بل "أصبحت فاسدة وأنه لا يمكن أن يتبع المسار الذى اختاره"..."عزيزي كامو، كثير من الأشياء تقربنا والقليل يفرقنا، لكن هذا القليل أصبح لا يطاق: الصداقة، هي أيضاً، تنزع لتصبح كُلِّيانيّة" (صنيج، 2020). والكُلِّيانيّة حسب معجم المعاني الجامع هي "نظام سياسي ذو حزب واحد لا يقبل أيَّة معارضة سياسيّة" اي نظام سياسي يفتقد لحرية الفكر والرأي والتعبير .https://www.almaany.co

ويبدو لناان احد الاسباب هو ان مؤلف "الانسان المتمرد" كان مضادا للشيوعية ومدافعا عن قيم المجتمع الفرنسي بينما كان سارتر قريبا من الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي السابق اضافة الى ايمانه بامكانية تطبيق مبادئ النظام الاشتراكي من اجل القضاءعلى البرجوازية والراسمالية الفرنسية (العراقي، 2006)

ولكن كل ماتقدم لم يمنع كامو من خلق شخصيات متمردة امتازت بالاضطراب والقلق المتأصل في سلوكياتها الفردية الامر الذي ساعد في ظهور الصراع النفسي داخلها بين قبول الواقع او رفض هذا الواقع ,بين (النعم)و

بين (اللا). هذا الموقف يقود الإنسان المتمرد إلى اختيار مبدأ "كل شيء أو لا شيء"مع التاكيد على الاعتراف بقيمة اجتماعية هي التضامن الانساني. (العشري، 1986، صفحة 48)

وبالنتيجة نستطيع القول ان التمرد كوسيلة لتقبل الحياة العبثية كما هي والتعايش فيها مع الاخرين عند كامو ينقسم الى نوعين من التمرد هما:التمرد على القيم الانسانية المتعارف عليها وهو مايطلق عليه كامو بالتمرد الميتافيزيقي الذي يتحول الى مواجهة بين الفردوالقدر يقوم به الفرد بنفسه من اجل المحافظة على حياته وحياة الاخرين.

اما النوع الثاني فهو تمرد الانسان على وضعه من حيث هو عبد اواداة ويسميه كامو بالتمرد التاريخي الذي قد يتحول الى ثورات جماعية مثل الثورة الفرنسية والثورة الروسية وهذا مايرفضه كامو .

وفي كلتاالحالتين فان التمرد يؤدي الى الحقيقة الموضوعية التي تبرهن على تحول تمرد"الانا"الى تمرد"النحن" لان كامو يعتقد ان الانسان قد حكم عليه بالعيش في عالم عبثي غير معقول الامر يفرض عليه تحقيق الانسجام مع الاخرين برغم تناقضات ومخاطر الوسط الذي يعيش فيه .وهذا ما توضحه لنا شخصية الطبيب ريو في رواية"الطاعون" التي رصدت صورعميقة وجوانب مختلفة من الحياة الانسانية حيث ان تمرد الطبيب ريو جعله ينتقل من الفردية والاغتراب الى قيمة التضامن التي تجمع الانسانية بعد ان تصدى للظلم الميتافيزيقي بمقاومته االتي مكنته من انتشال عدد كبير من المرضى من وباء الطاعون برغم علمه المسبق ان عمله لوحده غير كاف لان وباء الطاعون قد انتشر في ارجاء مدينة وهران .

وهكذا يبدو لنا ان تمرد كامو هو موقف موضوعي من اجل تاكيد التضامن الانساني شرط ان لايتحول الى جريمة ارهابية فيها قتل فالتمرد يجب ان يكون قائم على التخلي عن حمل السلاح والعنف لان حرية المتمرد يجب ان تنتهي عند حريةالاخرين. وهذا يعني ان التمرد يجب ان يلتزم بالقيم والحدود النسبية الكفيلة بالمحافظة على كرامة وطبيعة الانسان.ويتوجب على المتمردان تكون حريته غير مطلقة لكي لاتتحول الى عدالة ميتة و ان يبتعد عن المثاليات لان الحرية المطلقة يمكن ان تحقق الفوضى والاعتداء على حريات الاخرين.وقد يصل الامرالى حد ارتكاب جريمة القتل.

واضافة لكل ماسبق فاننا نجد كامو يؤكد على العمل الجماعي والتضامن للانتقال من العبث الذي يتميز بالفردية الى التمرد الجماعي. وهذا يعني ان الانسان عند كامو يشكل شغله الشاغل فهو يهتم بمأزق اي فرد اهتماماكبر من اهتمامه بنفسه وهذا هو سر شعبيته وشهرته بين عشرات الكتاب في عصره. ففي رواية الطاعون نجد ان الوباء ينتشر بسرعة كبيرة في وهران بسبب عدم اكتراث سكانها في بداية ظهوره وغياب التعاون بينهم لمقاومةالوباء.ولكن خلال اشتداده سوف يظهر التضامن بين جميع السكان ويتم القضاء عليه .

وتكشف لنا الشخصيات الرئيسية في روايات ومسرحيات كامو عن تشاؤمه و قلقه من الظروف الصعبةالتي واجهها الانسان في منتصف القرن العشرين الذي يختلف عن باقي العصور لان " القرن السابع عشر عصر الرياضيات، والقرن الثامن عشر عصر العلوم الفيزيائية ، والقرن التاسع عشر هو عصر علم الأحياء ، اما القرن العشرين فهو عصر الخوف (العشري، 1986، صفحة 331) الذي برهن لكامو أن الإنسان ينتظره مصير مجهول في ظل حياة تتسم بالعنف المفضي الى الموت.

3–رواية الطاعون ومقاربة مع جائحة كورونا

احتلت الرواية مكانة مرموقة في الأدب بوصفها الجنس الادبي الاكثر تصويرا لحياة الإنسان و الوسيلة الأنسب لرصد واقعه ومشاكله الاجتماعية والسياسية بسبب امتدادها الزمني وتعدد مضامينها السياسية والاجتماعية والتاريخية و تعدد حبكتها وشخصياتها وتعبيرها السردي. لذلك يبدو لنا ان اختيار كامو لجنس الرواية ميدانا لعرض افكاره الفلسفية لم يكن اعتباطا .

وبعد جهد استمر ثمان سنوات في الاطلاع على اعمال مشابهة لها صدرت هذه رواية "الطاعون" في 1947 لتحقق شهرة كبيرة بفضل دلالاتها الاجتماعية والسياسية وألاخلاقية والرمزية فضلا عن أسلوبها البسيط وتعبيرها عن هموم الإنسان الذي عاش القلق والاضطراب والخوف والدمار. لذلك نستطيع القول ان رواية "الطاعون" تمثل شهادة تاريخية عن عصر الخوف اكثرمن عمل روائي يصور محنة الانسان في القرن

العشرين. وهي تعد من أهم أعمال كامو الروائية التي كتبت في فترة عصيبة من تاريخ بلاده عندما كانت ترزح تحت الاحتلال النازي الألماني .

تتكون الرواية من خمسة اجزاء التي يمكن لنا توزيعها إلى اربعة مراحل هي" مرحلة ما قبل ظهور الوباء ومرحلة ظهور الأعراض الأولى للوباء ومرحلة اكتشاف الوباء وانتشاره السريع بين السكان ثم مرحلة القضاء على الوباء. وبذلك يجد القارئ في هذه المراحل تطابقا تاما مع احداث جائحة كورونا التي اجتاحت دول العالم قبل ثلاث سنوات من خلال الكثير من علامات التطابفق والتشابه التي عاشتها الانسانية مثل اجراءات العزل والغلق للمدن و وحجر المصابين وغيرها من الاجراءات التي اتخذتها الحكومات في انحاء العالم من اجل في الحد من تاثير الجائحة. وهو الامر الذي زاد من اقبال القراء عليها في المكتبات حيث ارتفعت مبيعات رواية "الطاعون" من المرتبة171 الى المرتبة الثالثة حسب صحيفة اللوموند الفرنسية الصادرة بتاريخ 2021/3/3. وهكذا وجد القارئ ايضا فيها هروبا من الواقع ,اي من واقع الوباء الحقيقي الى وباء خيالي من نوع اخر يتماهى مع التجربة الانسانية عبر نص روائي يتناول مشاكل الانسان وسط صراعات فكرية وايدولوجية مختلفة .

تعبر لنا هذه الرواية في بدايتها عن شعور بالعبثية والموت في وقائع تراجيدية عاشتها مدينة وهران وضواحيها التي انتشرت فيها الفئران وتسببت في وباء قااتل في فترة زمنية محددة لا تخلو من الدلالات السياسية وهي فترة الأربعينيات من القرن العشرين حيث تحولت المدينة عندما داهمها وباء الطاعون الى "مدينة بغيرحمام ولا أشجار ولا حدائق، حيث (لا خفقات أجنحة ولا حفيف أوراق" (ادريس، 1981، صفحة5)

تبدأ احداث الرواية في اليوم السادس عشر نيسان –194عندما تظهرالجرذان وهي ميتة بأعداد متزايدة في شوارع المدينة ومنازلها وبعد اسبوعين تظهر اصابات الطاعون الاولى فتعلن حالة الطوارئ ثم تغلق المدينة وتكاد تصبح في حالة حصار وحين يشتد فتك الوباء بالسكان يتم تشكيل جماعات من المتطوعين بقيادة تارو لمساعدة الطبيب برنار ريو في محاولة للحد من انتشار الوباء. و بعد ذلك يسرد لنا الطبيب ريو بوصفه الشخصية المحورية في الرواية مايجري في المدينة عندما يقود المعركة لمقاومة وباء الطاعون الذي عده الأب بانلو عقابا سماويا الا ان ريو استمر في مكافحة العبث المتمثل بالطاعون وارهاصاته من الم وفراق وموت

وحجرصحي وعزلة عن العالم الخارجي في تجسيد دورالانسان المتمرد الذي يكافح العبث والمثل الأعلى في مساعدة الضحايا .فكان يرى إن واجبه العمل على تخفيف معاناة الارواح البريئة في اطار مهمته المؤتمن عليها . .

في ذروة انتشار الوباء يصبح الناس وكأنهم سجناء في مدينتهم لا يشغل بالهم سوى الخوف من انتشار العدوى بينهم، وهذا ما يؤرق الطبيب "ريو" وزميله الطبيب "ريشار" حينما يدركاخطورة الوباء من خلال معاينتهم لاعراض مختلفة مثل الغيبوبة، الوهن، احمرارالعيون،التهاب الفم،الظمأ الشديد، التقيؤ...وهي الأعراض التي تنبئ عن مرض الطاعون. وبعد ذلك تتوالى القيود والاجراءات الاحترازية مثل حظر التجوال والحجر الصحي وانعدام وسائل النقل وانعدام العمل وتوقف الاسواق عن العمل.بل وصل الامر الى حد تحريم الرسائل بين السكان "خوفا من ان تصبح الرسائل وسائل لنقل العدوى" (ادريس، 1981، صفحة 71)

ويتوقف العمل والحيوية في ميناء المدينة بشكل مفاجئ تلك الحيوية المألوفة التي كانت تجعل منه أحد الموانئ الأولى على الشاطئ وكان ما يزال يرى فيه بعض السفن المحجور عليها،أما على الأرصفة فإن الرافعات الخالية، والشاحنات المنقلبة على جانبها، وأكواما من البراميل و الأكياس، كانت "كلها تشهد بأن التجارة، هي أيضا قد ماتت بالطاعون." (ادريس، 1981، صفحة 80) وخيم البؤس والشؤم على المدينة بسبب الوباء الذي امتد لمدة عشرة شهور فتغيب البسمة عن وجوه الناس، الذين لزموا بيوتهم وعاشوا التباعد الجسدي و المكاني لفترات ليست بالقصيرة بسبب اجراءلت العزل الصحي وأصبحت الشوارع خالية.وكان السكان "يستشعرون ما يستشعره جميع السجناء والمنفين من عذاب عميق يكمن في العيش في ذاكرة لاتجدي نفعا" (ادريس، 1981، صفحة 75). اما ظاهرة إحراق المنازل فكانت هي السمة البارزة اعتقادا من السكان بأن النار سوف تقضي على الوباء.وسادت فكرة جديدة اخرى "بان الكحول تقي من الامراض المعدية" و "الخمر الجيد يقتل الميكروب" (ادريس، 1981، صفحة82)

في ظل هذه المشاهد المرعبة للوباءاقتنع سكان المدينة بضرورة التعاون والتضامن وبذل الجهود والتضحية من أجل مكافحة الوباء الذي خيم على المدينة ، فلم يعد أحد يفكر في الهجرة والخروج من المدينة مثل الدكتور

ريو الذي توفيت زوجته بعيدا عنه والصحفي رامبيرالذي فضل البقاء في وهران على الرحيل لرؤية خطيبته في مدينة اخرى. كل ما تقدم يوكد ان شخصيات الرواية عاشت تجربة تاريخية لا تخلو من العذاب والاغتراب مع الشعورالدائم بالمسؤوليةوالتضامن لإعادة تشكيل مصيرهم الانساني لان "الطاعون لم يكن في نظرهم الا زائرا غير مرغوب فيه لابدان يرحل يوما مادام قد اتى. كانوا مذعورين,لكن غير يائسين" (ادريس، 1981، صفحة96)

وبحلول أواخر كانون الثاني بدأ الطاعون بالانحسار وبدأ سكان المدينة بالاحتفال بقرب انتهاء اجراءات الحظر. وفتحت أبواب المدينة لاحقا وتم لم شمل الناس مع أحبائهم من مدن أخرى، وتم لم شمل رامبير مع خطيبته. واخيرا، يكشف لنا الراوي عن أنه حاول تقديم نظرة موضوعية للأحداث الصعبة التي اصابت المدينة وسكانها الا انه يحذر القارئ في نهاية الرواية من الخدر والاستسلام امام هموم ومشاكل الحياة لان" جرثومة الطاعون لاتموت ولاتختفي وانها تستطيع ان تبقى عشرات السنين نائمة في الاثاث والملابس وانها تترقب بصبر في الغرف والاقبية والمناديل والاوراق التي لا حاجة لها .وان يوما قد يأتي الطاعون يوقظ فيه جرذانه ويرسلها تموت في مدينة سعيدة". (ادريس، 1981، صفحة 302) وجميع هذه الصورتعيد اذهان القارئ الى حقبة الحرب العالمية الثانية وحقبة الاحتلال النازي لفرنسا وتعيدنا ايضا الى الظروف الصعبة والقاسية التي عشناها مع كورونا لمدة اكثر من عامين والتي غيبت عنا الاحبة والاهل للابد .

لقد جسدت رواية"الطاعون" تجربة شخصية مريرة لكامو تمثلت في مرضه وفي احتلال النازيين لفرنسا لذلك اصبح وباء الطاعون هو الموت بالالاف الامر الذي ينبغي محاربته عمليا وايدولوجيا لتخفيف الالم البشر في كل مكان بدلا من الاستسلام للمصير المحتوم وهذا ما انعكس في سلوكيات شخصياته القريبة من أفكاره ومشاعره فالطبيب ريو لم يستسلم لقدره المحتوم بل اختار المقاومة برغم علمه مسبقاً أن جميع المرضى في طريقهم الى الهلاك لكنه كان يعتقد ان لديه دورا انسانيا يجب ان يؤديه كما ينبغي مهما كانت الظروف.

4-موت القيم وغياب النزعة الدينية

ترى الكاتبة الفرنسية سيمون بوفوار ان فرنسا شهدت خلال النصف الاول من القرن العشرين ظهورجهود كبيرة لكامو وسارتر حاولوا "تزويد عصر ما بعد الحرب بأيدولوجيته الخاصة" (عودة،2017) عبر تقديم نوع جديد من الاعمال الادبيةالتي تجسد الماسي الناشئة عن غزو فرنسا من قبل الجيش النازي الالماني.وفي محاولة من اجل تغيير الواقع القائم انذاك ظهر التيار الوجودي في فرنسا كنوع من ردة الفعل على تلك الاوضاع المأساويةالتي ادت بدورهاالى ظهورالنزعة الالحاديةلدى العديد من المفكرين الذين اعتقدوا بموت القيم النبيلة (كرامة الانسان –الشرف –الخير–الفضيلة –الحق) التي ينبغي ان تجلب للانسانية الامن والطمانينة.

وهكذا اصبحت قضية موت القيم الانسانية لتي يجب ان يرتكز اليها الانسان خصائص بارزة في الادب الفرنسي خلال النصف الاول من القرن الماضي حيث ظهر الانسان في عدد من الاعمال الادبية لتلك الفترة غريبا وحيدا لايوجد من يساعده في صياغة وتشكيل قدره حسب هواه و"هو لذلك لايملك ازاء الظلم الميتافيزيقي سوى ان يقابله بالشرف الميتافيزيقي الذي يمكنه من الصمود امامعبثيةالعالم. (العشري، 1986، صفحة 18)

وعلى الرغم من غياب النزعة الدينية لكامو في اعماله الادبية التي تعبرعن الاحساس العميق بالعصر الذي سماه بعصر الخوف والتي تقوم على ثنائية فلسفية هي ثنائية العبث والتمرد الا انه انشغل بعدد من الموضوعات الاخرى مثل عزلة الانسان وافتقاد العالم لبعض القيم الاخلاقية وغياب العدالة والتسامح ونزعة الشر لدى الانسان وحتمية الموت التي جعلت منه واحدا من المعلمين الكبار للأجيال اللاحقةوهي تعيد قراءة عدد من اعماله الادبية والفلسفية .

لقد صور لنا كامو في هذه الرواية الاب بانيلو شخصية تؤمن بالله وباخلاقيات الدين لكنه انتقد موقفه وتصرفه خلال انتشار الوباء تبريره للوباء القاتل الذي ملاء المقابر بالموتى.اذ ارادكانت تبرير الوباء على انه عقاب على خطئية ارتكبها سكان وهران وما عليهم الا التوبة والتهئو لقبول الواقع الا ان يتراجع عن هذا الرأي في خطبته اللاحقة ليعتبره اختبارا منزلا من السماء باسلوب ملحمي .ويزداد الاب بانيلوا اصرارا على هذا الاعتقادالى ان يصاب بوباء الطاعون ويموت بسببه.

ان موقف الاب بانيلو يتعارض مع فكرة التمرد على القدر المتمثلة بمقاومة وتحدي الوباء وعدم الاستسلام له بحجة انه عقاب عن خطايا سابقة الامر الذي يكشف لنا بوضوح عن رفض كامو للديانة المسيحية التي تقدم فكرة الخضوع والاستسلام للقدر.ويبدو لنا ان التمرد الذي يريده كامو من بانيلو هو التمرد على الافكار الغيبية التي تقمع الانسان وتدعوه الى الاستسلام للقدر.

راينا في الرواية كيف القس لايفيد بقدرما يفيد الطبيب لذلك وجدنا الاب بانيلو لم ينفع سكان وهران بشيء سوى التبرير والدعوة الى الصبر بينما الطبيب ريو يقدم لهم ما يستطيع تقديمه من رعاية واهتمام وعلاج من اجل مقاومة الوباء والقضاء عليه.وهنا نستنتج ان الانتصار يكمن في تأدية الواجب المطلوب بدل الخضوع لاحكام مسبقة وامور غيبية متصورة غير حقيقية امام الوباء الذي لا يميز بين ضحاياه .

لقد قدمت لنا رواية الطاعون صورة إنسانية خالصة كان فيها الطبيب ريو لا يريد أن يكون متدينا مسيحيا فقط، لكنه يريد ان يكون انسانا مهتما باداء الواجب الممكن في مساعدة الاخرين خلال ايام المحن القاسية.

تمثل فلسفة كامو تمردا على الدين المسيحي الذي يجسده الاب بانيلو في الرواية التي لاتخلو من القيم المتضادةبين الحياة والموت،وبين الخير والشر،وبين العلم والجهل وبين التمرد واالخضوع لاحكام مسبقة.

فالطبيب ريو انسان لم يقتنع بتفسيرات القس بانيلو لموت الطفل بالطاعون عندما سمعه يفسر موته على انه عقوبة.لان الطبيب ريو لم يستطع ان يفهم كيف ينبغي للعقوبةان لا تميز بين الكبير والصغير؟لماذا يموت الاطفال بينمايبقى المذنبون على قيد الحياة؟وهكذافالشخص الذي ينجو من الوباء هوالطبيب ريو الذي استمر بالعمل والتضحية من اجل حماية الانسان ضد القوى المختلفة التي تتحكم بمصير الانسان الذي يستطيع اثبات قدرته في تحدي جميع الاوبئةالماديةوالذهنية والايدلوجية.

ويؤكد لنا كاموان التعلق بالامال في حياةاخرى حسب رؤية القس بانيلو بمثابة خطيئة تؤدي الى فقدان الحياةالانسانية لذلك نجد كامو كان حريصا في تضمين كتاباته بمشاعر إنسانية لاتخلو من الشفقة والتعاطف مع الفردالضحيةالذي يجب أن يدافع ضد كل ما يهدده من غطرسة وطغيان .

وفي ضوء ما سبق ذكره نستطيع القول ان كامو قدم للقارئ منجزا روائيا خالياً من الامور الغيبية حيث تستمد شخصياته الحادها من حياته الشخصية التي قال عنها: "ولدت فقيرًا وبلا دين تحت سماء سعيدة .p (Hermet,1990 11)

لهذا السبب نلاحظ أن شخصياته الرئيسية تصبح في كثير من الاحيان المتحدث الرسمي باسمه التي تعبر عن افكاره ازاء مايحدث على ارض الواقع.وهاهو الطبيب ريو يبرز لنا شكلاً من أشكال الوضوح يتوافق مع رؤية كامو برفض كل عقيدة غيبية تحد من طموحات الإنسان برغم اعتقاده بأن علاقة ما تربط الإنسان بالله.

في مقابلة مع جان بريسفيل،يكشف كاموعن هذه الازدواجية قائلا:"لدي إحساس مقدس لكني لاأؤمن بالحياةالمستقبلية ". (Brisville, 1966, p. 260.) وتبدو لنا هذه الازدواجية بصورة أوضح لنا في تصريح كامو نفسه عندما قال: "أنا لا أؤمن بالله ، هذا صحيح ، لكنني لست ملحدا ,Hermet) 1990, ,p.45.) "

ونلاحظ ايضا أن كامو لديه موقفا خاصا عن الديانة المسيحية التي يعدها عقيدة للظلم ,Gadourek) 1963, p.230الامر الذي يكشف لنا سبب معاتبته للكنيسة التي يعدها انها فشلت في الاضطلاع بدورها في وضع حد لبؤس القبائل العربية في الجزائر وفي الحرب في إسبانيا وقبولها لعقوبة الإعدام. وهذا مانجده بشكل واضح على لسان احد الشخصيات في الفصل الرابع من مسرحية " العادلون" في قولها" لقد احتفظت الكنيسة بالنعمة لنفسها وتركت لنا مهمة ممارسة المحبة.(Camus A. , p. 1950)

وهو ذات الموقف الذي نجده في مسرحية "حالة حصار" عندما يعاتب كامو الكنيسة على تبريرها للشر بدلاً من إدانته: "ها هو العقاب آت ،الشر القديم على المدينة. إنه هو الذي أرسلته السماء دائما إلى المدن الفاسدة لمعاقبتهم حتىالموت على خطاياهم المميتة (Camus A. , 1993, p.59 "

كل هذه المواقف تبين لنا ان كامو كان يسعى إلى مبادئ انسانية بدلا من المبادئ الدينية الغيبية في سبيل تمكين الفرد على تأكيد كرامته ومقاومة الظلم حتى يتمكن من الاستمتاع بملذات الحياة المحدودة Hajait) . & Jean, 1966, p. 248)

الخلاصة

وفي الختام نلاحظ ان الفيلسوف والروائي الفرنسي البير كامو استطاع عبر ثنائية العبث والتمرد في رواية "الطاعون" ان يقدم لنا صورة متكاملة للمجتمع الانساني بابعادها النفسية والاجتماعيةوالسياسية والدينيةالتي تحمل في ثناياها العديد من القضايا الانسانية الكبرى الى يومنا هذا واهمها التضامن البشري بين المجتمعات الانسانية بوجه الخطر الذي يهدد حياتهم ووجودهم .

ان المنجز الروائي لكامو يعد نتيجة للتناقض مابين المثالية التي يبحث عنهاوواقعه المرير الذي كابده خلال فترة مابين الحربين ويعد ايضا نتيجة لانهيارالقيم الانسانية في القرن العشرين لذلك رأيناه يعبر بقوةعن اهميةالحرص على تلافي اي نزعة تشاؤمية من خلال التمرد الفكري الذي اعتبره وسيلة مهمة لمقاومة عبث الوجود الانساني ووسيلة لمقاومة الاستسلام للقدرالذي اختلطت فيه المظاهر السياسية والفكرية والاجتماعية والميتافيزيقية .

واضافة لما سبق نستطيع القول ان قيمة التمردعند كامو الفكري هو التخلي عن الاستسلام لما هو قائم وموجود لذلك جعل ابطاله يتحملون عبء الخوف والقلق والموت في رواية الطاعون ولكنه يرشدهم الى طريق التضامن الانساني وحب الحياة اللذاين يجلبان السعادة للانسانية كوسائل للخلاص من واقعهم الراهن .

ان وباء الطاعون بالنسبة لكامو جسد الحواجز التي تفصل بين الانسان والنظم الميتافيزيقية والتجريدية والشمولية التي تحكم على الانسان بالموت.امالعقائد الدينية فلا مكان لها عند شخصياته الرئيسية التي تزداد انسانية في كل محنة يمرون بها. واخيرا استطاع كامو تصوير محنة الانسان باسلوب ابداعي سمح له بالانتقال من الواقع الى الخيال عن طريق تحويل الوباءالى استعارة وكناية تعالج موضوعات انسانية كبرى لا تخلومن الارتباطات السياسية والاجتماعية والدينية في كل مكان .

Conclusion

In conclusion, we note that the French philosopher and novelist Albert Camus was able, through the duality of absurdity and rebellion in the novel "The

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

Plague", to present us with a complete picture of human society with its psychological, social, political and religious dimensions that carry within them many major human issues to this day, the most important of which is human solidarity between human societies in the face of the danger that threatens their lives and existence.

Camus's novelistic achievement is the result of the contradiction between the idealism he seeks and his bitter reality that he suffered during the period between the two wars. It is also the result of the collapse of human values in the twentieth century. Therefore, we saw him express strongly the importance of being careful to avoid any pessimistic tendency through intellectual rebellion, which he considered an important means of resisting the absurdity of human existence and a means of resisting surrender to fate in which political, intellectual, social and metaphysical aspects were mixed.

In addition to the above, we can say that the value of rebellion in Camus's intellectual thinking is to abandon surrender to what is present and existing, so he made his heroes bear the burden of fear, anxiety and death in the novel The Plague, but he guides them to the path of human solidarity and love of life, which bring happiness to humanity as means of salvation from their current reality. For Camus, the plague epidemic embodied the barriers separating man from the metaphysical, abstract and totalitarian systems that condemn man to death. As for religious beliefs, they have no place in his main characters, who become more humane with every ordeal they go through. Finally, Camus was able to depict the human ordeal in a creative way that allowed him to move from reality to imagination by transforming the epidemic into a metaphor and allegory that addresses major human issues that are not devoid of political, social and religious connections everywhere.

قائمة المراجع العربية :

1-بديع صنيج. (24 9, 2020). المثقفون الأعداء.. لماذا؟ الميادين. تم الاسترداد من https://www.almayadeen.net/investigation/1425610

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934
2-بول ويست /ترجمة عبد الواحد محمد. (1986). الرواية الحديثة الانكليزية والفرنسية . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة.

3-البير كامو (1981). -الطاعون . ترجمة سهيل ادريس بيروت: دار الاداب.

4-جميل صليبا. (2004). ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية،. تونس: دار الجنوب للنشر.

5-جون كروكشانك/ترجمة جلال العشري. (1986). البير كامو وادب التمرد. القاهرة : الهئية المصرية للكتاب.

6-رحيم العراقي. (2 8, 2006). كامو وسارتر..قصة القطيعة. تم الاسترداد من الحوار المتمدن-العدد: 1455 : https://www.ahewar.org

7-سام درسر/ترجمة ريم عودة. (23 3, 2017). كيف اختلف كامو وسارتر حول الحرية. تم الاسترداد من https://hekmah.org: http://www,https://hekmah.org.com

List of Arabic references:

1--Albert Camus (1981). -The Plague. Translated by Suhail Idris Beirut: Dar Al-Adab.

2- Badih Sanij. (24 9, 2020). Enemy Intellectuals.. Why? Al-Mayadeen. Retrieved from https://www.almayadeen.net/investigation/1425610.

3- Jamil Saliba. (2004). Dictionary of Philosophical Terms and Evidence. Tunis: Dar Al-Janub for Publishing.

4- John Cruikshank / Translated by Jalal Al-Ashry. (1986). Albert Camus and the Literature of Rebellion. Cairo: Egyptian Book Organization.

5- Paul West / Translated by Abdul Wahid Muhammad. (1986). The Modern English and French Novel. Baghdad: General Cultural Affairs House.

6- Rahim Al-Iraqi. (2 8, 2006). Camus and Sartre. The Story of the Break. Retrieved from Al-Hewar Al-Mutamadin-Issue: 1455: https://www.ahewar.org.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934
7-Sam Dreser/Translated by Reem Awda. (23 3, 2017). How Camus and Sartre differed on freedom. Retrieved from https://hekmah.org: http://www,https://hekmah.org.com.

List of foreign references

1-Albert Camus. (1993). L'Etat de Siège, Edition présentée, établie et annotée par Pierre-Louis Rey, Paris : Gallimard.

2-Albert Camus. (1942). Mythe de Sisyphe. Paris : coll. Idées, Gallimard.

3-Albert Camus. (1950). Les Justes. Paris: Gallimard.

4-Antoine Adam, & Georges), L.-S. (1972). La littérature française- XIX et XX siècle. Paris : Librairies Larousse.

5-Caréna Gadourek. (1963). Les innocents et les coupables, 1963. Paris : Mouton.

6-Jean Brisville. (1966). Camus. Paris : Gallimard.

7-Josèphe Hajait ،Maurice Jean. (1966). La littérature de notre temps. Paris : Casterman,

8-Josephe Hermet. (1990). À la rencontre d'Albert Camus. Paris : Éditions Beau chers.

9-Weymberghm, M. (1998). Camus ou la mémoire des origines, Paris : Edition De Boeck Université, coll. Le point philosophique.

Dictionnaires

Dictionnaire de l'Académie française (1978). eBooksFrance www.ebooksfrance.com éditions

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

The duality of absurdity and rebellion in the novel "The Plague" by Albert Camus

Prof Ahmed Abed Abbas
University of Babylon, College of Arts, Iraq
ahmedabd1967@yahoo.com
art.ahmed.abd@uobabylon.edu.iq

Summary

The research aims to highlight the role of philosophy and the novel in monitoring the reality of human society in light of the dominance of various political, economic and social ideologies in Europe during the twentieth century, which witnessed the emergence of an elite group of prominent philosophers and writers who paid great attention to human society in their various philosophical and literary works. The research seeks to reveal the extent of the influence of the writer's philosophical ideas on his various literary works, especially the novel The Plague, and to search for answers to several questions, including: Why did Albert Camus choose the novel to present his philosophical ideas? What are the concepts proposed by contemporary Western philosophy related to human existence? Why did Camus describe the twentieth century as an age of fear? What are his philosophical references and ideas? The research reached a number of results, including the presence of a philosophical vision in the literary achievement of Camus, who was able to combine philosophy and literature and transform the plague epidemic from a disease that afflicts the individual human body into a pandemic that afflicts humanity and devours all its values necessary for life.

Keywords: plague, absurdity, rebellion, surrender, existence, solidarity.